بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد :

قال رحمه الله تعالى :

[(القسم الرابع : ما اختص به من الفضائل دون غيره) ؛ فمن ذلك : أن أزواجه
أمهات المؤمنين ، قال الله تعالى: { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }
[الأحزاب:٦] ، ومعنى هذه الأمومة : الاحترام والطاعة وتحريم العقوق ووجوب التعظيم ، لا
في تحريم بناتهن وجواز الخلوة بهن ، ولا تنتشر الحرمة إلى من عداهن. وهل هن أمهات
المؤمنات ؟ على وجهين : صححوا المنع ، وهو قول عائشة رضي الله عنها ، وهذا تفریع
على أن جمع المذكر السالم هل يدخل فيه النساء ؟ وهي مقررة في الأصول. وهل يقال
في إخوتهن : أخوال المؤمنين ؟ فيه نزاع ، والنص جوازه . وهل يطلق على بناتهن أخوات
المؤمنين ؟ نص الشافعي في المختصر على جوازه ، وجوّزه بعض الأصحاب ، ومنع منه
آخرون ، وقد أنكر ابن الصباغ وغيره ذلك على المزني وقالوا : غلط] .

هذا القسم الرابع من الأقسام المتعلقة بخصائص النبي عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق
بالنكاح ، وهذا القسم يتعلق بالفضائل المختصة به ﷺ دون غيره ، فذكر من ذلك : ((أنَّ
أزواجه أمهات المؤمنين)) ؛ وهذا دل عليه كتاب الله العزيز ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦] ، فأزواج النبي عليه الصلاة والسلام أمهات للمؤمنين ، وهذا شرف
لزوجات النبي عليه الصلاة والسلام نلنه بشرف النبي عليه الصلاة والسلام ومكانته العظيمة ،
فلما كان عليه الصلاة والسلام للمؤمنين بمنزلة الوالد كما صح بذلك الحديث عنه صلوات
الله وسلامه عليه أنه قال: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ)) فكذلك أزواجه صلوات الله وسلامه
عليه للمؤمنين بمنزلة الأمهات ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ . قد جاء في قراءة
شاذة لهذه الآية { وهو أبٌ لهم } أي أبٌ للمؤمنين، والأبوة هنا أبوة دينية ، كما أن أمومة
أزواجه عليه الصلاة والسلام للمؤمنين أمومة دينية وليست أمومة نسب .

قال العلماء رحمهم الله تعالى : الأبوة نوعان :

- أبوة دينية ؛ يعني الرابط فيها الدين .
- وأبوة طينية ؛ الرابط فيها أو المؤثر فيها النسب .

ولهذا لا يعارض إثبات هذه الأبوة للنبي ﷺ قول الله ﷻ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] لأن الأبوة المنفية هنا أبوة النسب ، والأبوة المثبتة له عليه الصلاة والسلام أبوة الاحترام والتوقير والإجلال والمحبة والتربية على الدين ؛ فهذه للنبي عليه الصلاة والسلام فيها أعلى الدرجات ، وله الحق فيها أكثر من حق الأم والأب ، ولهذا قال في الحديث: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) ، فحقه عليه الصلاة والسلام مقدّم وهو أولى بالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من أنفسهم .

كذلك لا تعارض بين قوله ﷻ: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنِ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَكَدَنَّهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢] ؛ فقوله: ﴿ إِنِ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَكَدَنَّهُمْ ﴾ هذا في النسب ، وقوله: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ هذا في المكانة والفضل والمنزلة والحرمة والتوقير والاحترام ونحو ذلك من المعاني .

قال : ((ومعنى هذه الأمومة : الاحترام والطاعة وتحريم العقوق ووجوب التعظيم ، لا في تحريم بناتهن))؛ من المعلوم أن الإنسان لا يحل له أن ينكح بنت أمه ، لكن علي ﷺ نكح فاطمة بنت خديجة ، وخديجة رضي الله عنها أم علي وغيره من المؤمنين ، كذلك عثمان ﷺ نكح أختها أم كلثوم ؛ فهذه الأمومة في الاحترام والطاعة وتعظيم العقوق ووجوب التعظيم لا في تحريم بناتهن وجواز الخلوة بهن ؛ يعني هذه الأمومة أيضاً لا تجيز الخلوة بهن مع أن الإنسان يخلو بأمه من النسب ، أما أمهات المؤمنين قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، وقال الله ﷻ مخاطباً أمهات المؤمنين : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

((ولا تنتشر الحرمة إلى من عداهن)) ؛ يعني من حيث الحكم الثابت لهن رضي الله عنهن . فهذا شرفٌ لأمهات المؤمنين أهنّ بهذا الارتباط المبارك الذي أكرمهن الله ﷻ به صرن .

أمهات للمؤمنين ، ثم هذه الأمومة لها مقتضياتها وحقوقها ولوازمها ؛ ومن ذلك ما أشار له ابن كثير رحمه الله : أن يقوم في قلب المؤمن الاحترام لهن ، والمعرفة بقدرهن ، ومحبتهم رضي الله عنهن وأرضاهن ، وسلامة الصدر تجاههن من الغل ونحو ذلك ، والحذر من النيل منهن أو الوقوع فيهن ؛ فهذا كله من الحقوق الواجبة تجاه أزواج النبي عليه الصلاة والسلام ، فلمن من الحقوق مثل ما لأم الإنسان من الحقوق ، بل الخير الذي وصل إلى الأمة عن طريق أمهات المؤمنين أعظم ؛ من بيان الدين ونشره ، وخاصة الأمور التي تتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام في بيته ، فجُلُّ هذه الأحكام نُقلت بواسطة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن .

ثم ذكر رحمه الله تعالى مسألة متفرعة عن هذه قال: ((وهل هن أمهات المؤمنات؟)) ؛ هل هن أمهات للمؤمنين والمؤمنات؟ أو أنهن أمهات للمؤمنين فقط دون المؤمنات؟ قال: ((على وجهين)) ؛ يعني للعلماء فيها قولان .

((صححوا - أي الشافعية - المنع)) ؛ ولهذا يقول ابن كثير في التفسير : " وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي " ، يعني أنهن أمهات المؤمنين دون المؤمنات . قال: ((وهو قول عائشة رضي الله عنها)) ؛ وهذا جاء في الطبقات لابن سعد والسنن الكبرى للبيهقي رحمه الله تعالى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها : يا أُمِّي ، قالت: "أنا أم رجالكم ولست أم نساءكم " ، والإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه التفسير قال: "صح عن عائشة " أي أنها قالت : أنا أم رجالكم ولست أم نساءكم. وروى ابن سعد في الطبقات عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها أنها قالت: " أنا أم الرجال منكم والنساء " .

والذي يظهر والله تعالى أعلم أنه ليس هناك تعارض بين قولي أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنهما لأن كل قولٍ من القولين لوحظ فيه اعتبار :

■ فإذا لاحظنا في معنى الأمومة اعتبار الاحترام والتوقير والمحبة ومعرفة الفضل والمكانة ؛ فهذه تتناول ولا شك الرجال والنساء ، فبهذا الاعتبار هن أمهات للمؤمنين والمؤمنات ، لأن هذه المعاني مطلوبة من المؤمنات تجاه أزواج النبي ﷺ كما أنها مطلوبة من المؤمنين .

■ وإذا لوحظ المعنى الآخر الذي سبق أن أشار إليه ابن كثير رحمه الله تعالى وهو تحريم بناهتھن ، وعدم الخلوة بهن، وعدم النظر إليهن إلى غير ذلك ، فهذه أحكام تختص بالرجال دون النساء وعليه يُحمل المنقول عن عائشة رضي الله عنها .

ويدل لقول أم سلمة سياق الآية الكريمة ، لأن الله ﷻ قال: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ، ومن المعلوم أن صدر الآية وهو قوله : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ يتناول النساء وليس هو خاص بالمؤمنين الرجال دون النساء ، فأيضاً ما أضيف إليه وهو قوله : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ أيضاً يتناول الرجال والنساء ، وهذا مما يقوي المنقول عن أم سلمة رضي الله عنها .

قال: ((وهذا تفريع على أن جمع المذكر السالم هل يدخل فيه النساء ؟ وهي مقررة في الأصول)) ؛ الأصل في الخطاب في القرآن الموجّه للرجال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أنه للرجال والنساء معاً إلا ما دل الدليل على تخصيصه بالرجال ، حتى الأحاديث التي يُنصُّ فيها على الرجل ، ذُكر الرجل فيها لا مفهوم له لأنه يتناول الرجال والنساء .

قال: ((وهل يقال في إخوانهن أخوال المؤمنين؟)) ؛ مثلاً ابن عمر عبد الله ﷺ أخو حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ ، فهل ابن عمر خال للمؤمنين؟ ، أيضاً معاوية بن أبي سفيان أخو لأم حبيبة رضي الله عنها فهل يقال له خال للمؤمنين؟ .

قال: ((فيه نزاع ، والنص على جوازه)) ؛ مر معنا أنّ هذا لا ينتشر إلا باعتبار إطلاق العبارة لا باعتبار إثبات الحكم ، فيصح أن يقال ابن عمر خال المؤمنين ، ويصح أن يقال معاوية خال المؤمنين ، وقد جاء عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: " معاوية خال المؤمنين وعبد الله بن عمر خال المؤمنين " ، وهذه الخؤولة هي من باب إطلاق العبارة لا من باب إثبات الحكم مثل ما نصَّ على ذلك ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه التفسير، ولهذا لا حرج في أن يقال إن معاوية ﷺ خال المؤمنين وهذا منقول بكثرة عن السلف ، وفي ترجمة معاوية ﷺ كثيراً ما يُذكر ذلك ويوصف بهذا الوصف ويلقب بهذا اللقب "خال المؤمنين" ، وكاتب الوحي " لأنه منذ أسلم وهو كاتب الوحي ، وهو أول ملوك المسلمين ﷺ ، ومناقبه ومآثره وفضائله كثيرة وسيأتي عند المصنف رحمه الله تعالى لاحقاً إشارة إلى شيء من ذلك .

قال: ((وهل يطلق على بناتهن أخوات المؤمنين؟)) ؛ مثل فاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب بنات خديجة رضي الله عنها وأرضاها ؛ فهل يطلق عليهن أخوات المؤمنين ؟
 ((نصّ الشافعي في المختصر على جوازه)) ؛ وأخوتهن للمؤمنين هذه ثابتة، والمؤمنون كلهم إخوة أخوة الدين والإيمان ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] ، ((المسلم أخوا المسلم)).

قال : ((وجوّزه بعض الأصحاب ومنعه آخرون ، وقد أنكر ابن الصباغ وغيره ذلك على المزني وقالوا غلط)) ؛ على كل حال إطلاق الأخوة بهذا الاعتبار هو معنى ثابت والمؤمنون كلهم إخوة .

قال رحمه الله :

[(فرع) : وهل يقال له ﷺ أبو المؤمنين ؟ نقل البغوي عن بعض الأصحاب الجواز . قلت : وهو قول معاوية ، وقد قرأ أبيّ وابن عباس ﷺ { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبّ لهم وأزواجه أمهاتهم } . ونقل الواحدي عن بعض الأصحاب المنع ، لقوله تعالى : { ما كان محمد أباً أحد من رجالكم } ، ولكن المراد : أباهم في النسب وإلا فقد روى أبو داود " إنما أنا لكم بمثل الوالد " الحديث في الاستطابة] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذا الفرع : ((هل يقال له ﷺ أبو المؤمنين ؟ نقل البغوي عن بعض الأصحاب الجواز)) ؛ أي : يجوز أن يقال عنه صلوات الله وسلامه عليه أبو المؤمنين . قال ابن كثير: ((وهو قول معاوية - أي ابن أبي سفيان ﷺ - وقد قرأ أبيّ بن كعب وابن عباس ﷺ { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُوَ أَبُّ لَهُمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ })) وهي قراءة شاذة، لكن سياق الآية يدل على صحة المعنى كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله ؛ إذا كان أزواجه أمهات المؤمنين فهو أبّ لهم ، بل إنما كنّ أمهات للمؤمنين بشرف ارتباطهن به عليه الصلاة والسلام ، فإذا كنّ هن أمهات للمؤمنين فمن باب أولى أن يكون هو صلوات الله وسلامه عليه أبّ للمؤمنين أبوةً دينية ، بل كما قال بعض السلف: " كل نبي

أَبٌ لِأُمَّتِهِ" ، أي أبوة التربية والتأديب والتعليم والعناية بالتوجيه ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

فهو عليه الصلاة والسلام أَبٌ للمؤمنين أبوةً دينيةً ، وهذا الإطلاق صحيح ولا شيء فيه ولا حرج في إطلاقه ، ولا ينافيه قول الله ﷻ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] لأن الأبوة المنفية أبوة النسب ، والأبوة المثبتة أبوة الدين ، ولهذا قال ابن كثير رحمه الله: ((ولكن المراد أباهم من النسب)) .

قال: ((وإلا فقد روى أبو داود: " إنما أنا لكم بمثل الوالد " - أو بمنزلة الوالد - الحديث في الاستطابة)) أي : من قضاء الحاجة . قال ﷺ : ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعَلَّمْتُكُمْ ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطُ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ ، وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا وَلَا يَسْتَتِبُ بِيَمِينِهِ ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ)) ؛ هذا كله تربية .

وانظر هذا الشرف الذي حباك الله به أيها المؤمن !! النبي عليه الصلاة والسلام يخاطبك هذا الخطاب الرفيق الرقيق العظيم ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ)) فلا تفعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ، وهذا أيضاً يستفاد منه أسلوب عظيم جداً في تربية الأبناء - حتى وإن لم يكونوا أبنائك - لما تخاطب صغيراً وتقول له : يا بني أنا بمنزلة والدك فأنصحك بكذا وأنصحك بكذا وأوجهك لكذا ؛ يكون للكلام وقع وأثر في النفوس بالغ . فالنبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين بمنزلة الوالد بل هو في مكانته ومنزلته أعلى من الوالد والوالدة والناس أجمعين صلوات الله وسلامه عليه كما صح الحديث الذي أشرت إليه آنفاً قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) والحديث رواه النسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم بسندٍ حسنٍ وصححه جمعٌ من أهل العلم .

قال رحمه الله :

[مسألة : وأزواجه أفضل نساء الأمة لتضعيف أجرهن بخلاف غيرهن ، ثم أفضلهن خديجة وعائشة . قال أبو سعيد المتولي : واختلف أصحابنا أيتهما أفضل ، وقول ابن حزم : إن أزواجه ﷺ أفضل من سائر الصحابة حتى من أبي بكر الصديق ﷺ قول لم يسبقه إليه أحد ، وهو أضعف الأقوال] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذه المسألة قال: ((وأزواجه أفضل نساء الأمة)) ؛ ولا شك أن هذه الأفضلية والتفضيل ثابت لنساء النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن هذا الارتباط بالرسول عليه الصلاة والسلام الذي أكرمهن الله ﷻ به كان شرفاً لهن أيماً شرف وفضيلة أيماً فضيلة تميزن به عن سائر النساء ، ولهذا قال الله لهن: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ؛ فهذا الارتباط كان شرفاً عظيماً لنساء النبي عليه الصلاة والسلام وصرن به أمهات للمؤمنين فلا شك أن أزواجه أفضل نساء الأمة . وأشار رحمه الله تعالى إلى وجه من وجوه الأدلة - وإلا الأدلة على أن أزواج النبي ﷺ أفضل نساء الأمة كثيرة - فقال:

((لتضعيف أجرهن بخلاف غيرهن)) ؛ وتضعيف أجرهن مأخوذ من قوله ﷻ في سورة الأحزاب والخطاب لأزواج النبي : ﴿ وَمَنْ يُقْتِمْ مَنَكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) ﴾ ، فالواحدة منهن إذا قنتت لله وعملت الصالحات أوتيت أجرها مرتين ، فتميزن عن سائر النساء بميزات عظيمة وخلال كريمة مباركة شرفن بها رضي الله عنهن وأرضاهن .

والإمام السيوطي رحمه الله له كتاب وهو مطبوع سماه : « مطلع البحرين في من يؤتى أجره مرتين » ، صدره بأزواج النبي ﷺ وذكر الآية وذكر أيضاً حديثاً في الباب لا يصح ، والآية كافية في إثبات هذه الفضيلة لأزواج النبي ﷺ وأنهن يؤتين أجرهن مرتين .

أيضاً من وجوه التفضيل : أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)) ، وإذا رأينا وبخاصة الأحكام المتعلقة بالنساء والأحكام المتعلقة التي تتعلق بالبيوت جُلُّها نُقلت بواسطة أزواج

النبي ﷺ ، فكل من علم هذا العلم فيما بعد وفقهه وعمل به فلأزواج النبي ﷺ أجر الدلالة

قال: ((ثم أفضلهن خديجة وعائشة)) ؛ أفضل أزواج النبي ﷺ خديجة وعائشة .
((قال أبو سعيد المتولي: واختلف أصحابنا أيتهما أفضل ؟)) ؛ أهل العلم عموماً اختلفوا
أيتهما أفضل خديجة أو عائشة ؟ والخلاف في ذلك بين أهل العلم مشهور ، ومن قَدَّم
خديجة في التفضيل بالإطلاق لا يسلم من معارضة وانتقاد ، ومن قَدَّم عائشة رضي الله عنها
بالإطلاق لا يسلم أيضاً من معارضة وانتقاد ، ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه
بدائع الفوائد : " سئل شيخ الإسلام ابن تيمية أيهما أفضل خديجة أو عائشة؟ فأجاب رحمه
الله : بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه
عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى
الامة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها ؛ فتأمل
هذا الجواب الذي إذا أجبت بغيره من التفضيل مطلقاً لم تتخلص من المعارضة " يعني إن
فضلت خديجة مطلقاً لم تسلم من معارضة، وإن فضّلت عائشة رضي الله عنها مطلقاً لم تسلم
من معارضة ، فإذا أتيت بهذا التفصيل الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى
فإنك بهذا الجواب تسلم من المعارضة والانتقاد .

قال: ((وقول ابن حزم إنّ أزواجه ﷺ أفضل من سائر الصحابة حتى من أبي بكر
الصدّيق قول لم يسبقه إليه أحد وهو أضعف الأقوال)) ؛ ولا شك أن هذا القول ضعيف
وهو قول شاذ ، ولا شك أن أفضل أمة محمدٍ عليه الصلاة والسلام أبو بكرٍ الصدّيق ، ويليه
في الفضل عمر ، بل إنّ أبا بكرٍ الصدّيق وعمر الفاروق رضي الله عنهما وأرضاهما هما أفضل
الناس على الإطلاق بعد الأنبياء في جميع الأمم - ليس أمة محمدٍ ﷺ فقط ! بل أفضل
الناس على الإطلاق في جميع الأمم - وهذا دل عليه الحديث الثابت عن النبي ﷺ أنه قال:
((أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُفْهولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا حَلَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ)) ،
فرتبتهما في الفضل بعد الأنبياء مباشرة في جميع أمم الأنبياء كلهم رضي الله عنهما وأرضاهما
وعن الصحابة أجمعين .

قال رحمه الله :

[مسألة : ويحرم نكاح زوجاته اللاتي توفي عنهن إجماعاً ، وذلك لأنهن أزواجه في الجنة ، وإذا لم تتزوج المرأة بعد موت زوجها فهي له في الآخرة ، كما روي أن أبا الدرداء قالت له زوجته عند الاحتضار : يا أبا الدرداء إنك خطبتني إلى أهلي فزوجوك ، وإني أخطبك اليوم إلى نفسك ، قال : فلا تتزوجي بعدي . فخطبها بعد موته معاوية . وهو أمير . فأبت عليه . وروى البيهقي من حديث عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة أنه قال لامرأته : إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا . فلذلك حرّم على أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهن أن يُنكحن بعده ، لأنهن أزواجه في الجنة . واختلفوا فيمن طلقها في حال حياته على ثلاثة أوجه : ثالثها أن من دخل بها تحرم على غيره ، ونص الشافعي على التحريم مطلقاً ، ونصره ابن أبي هريرة ، لقوله تعالى : { وأزواجه أمهاتهم } ، وعلى هذا ففي أمة يفارقها بوفاة أو غيرها بعد الدخول وجهان . وقيل : لم يكن أزواجه حراماً على غيره إلا أن يموت عنهن ، والدليل على ذلك آية التخيير ، فإنه لو لم تخيّر للغير لما كان في تخييره لمن فائدة ، والله أعلم] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذه المسألة وهي من خصائصه عليه الصلاة والسلام المتعلقة بالنكاح في باب الفضائل : أنه ((يحرم نكاح زوجاته اللاتي توفي عنهن إجماعاً)) ؛ حُصّ عليه الصلاة والسلام من بين سائر الأمة أنه يحرم نكاح زوجاته اللاتي توفي عنهن إجماعاً أي بإجماع أي أهل العلم وعددهن تسعة رضي الله عنهن وأرضاهن ، والله تعالى قال: ﴿ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، فمحرم نكاح أزواجه من بعده . أما سائر الأمة من مات عن زوجته وانتهت عدة الوفاة جاز لها أن تنكح غيره . قال: ((لأنهن أزواجه في الجنة)) ؛ قال مستدلاً لذلك : ((والمرأة إذا لم تتزوج بعد موت زوجها فهي له في الآخرة)) ؛ يعني إذا بقيت بعد وفاته لم ترتبط بغيره تكون له زوجة في الآخرة ، وذكر الدليل على ذلك قال:

((كما روي أن أبا الدرداء قالت له زوجته)) ؛ أبو الدرداء رضي الله عنه له زوجتان كل منهما يقال لها أم الدرداء ، أم الدرداء الكبرى وهي صحابية يقال لها حَيْرَة ، وأم الدرداء الصغرى وهي التي ذُكرت هنا وهي ليست صحابية يقال لها هُجيمة .

((قالت له زوجته عند الاحتضار : يا أبا الدرداء إنك خطبتني إلى أهلي فزوجوك ، وإني أخطبك اليوم إلى نفسك)) ؛ زوجها أمامها يحتضر وتقول " وإني أخطبك اليوم إلى نفسك " !! يعني ترغب أن تكون رفيقةً له في الجنة ، وتريد أن هذه العشرة التي كانت بينها وبينه وأُنست بها معه في الدنيا أن تبقى معه في الدار الآخرة . وقولها هذا ناشئ عن حُبِّ قام في قلبها لزوجها رضي الله عنه ، فقالت له هذا الكلام العظيم المؤثر .

((قال رضي الله عنه : فلا تتزوجي بعدي)) ؛ لأنه ثبت في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((المرأة لآخر أزواجها)) يعني لو المرأة تزوجت عن شخص وطُلِّقت ، وآخر وتوفي ؛ فهي لآخر أزواجها .

فبعد وفاة أبي الدرداء رضي الله عنه وخروج أم الدرداء من العدة حصل لها في هذا الباب امتحان ؛ تقدّم لها معاوية وهو أمير المؤمنين ، ولهذا ابن كثير رحمه الله ما اكتفى بأن قال معاوية ؛ قال: ((فخطبها بعد موته معاوية وهو أمير)) تقدّم لها معاوية وهو في الفضل معروف وفي المكانة معروف .

((فأبت عليه)) ؛ لأنها على رغبتها السابقة التي ودّعت زوجها عليها في مغادرته للحياة . فقال: " إذاً عليك بالصيام " ؛ لأنها أبت وذكرت له السبب ، قالت: إني قلت له كذا وكذا وقال لي: لا تتزوجي بعدي ، ولا أريد به بدلاً .

وهذا الأثر رواه ابن عساكر في تاريخه بسند حسن وله طريق آخر عند أبي نُعيم في الحلية ، وصح أيضاً مرفوعاً ((أن المرأة لآخر أزواجها)) ، فروى أبو يعلى وغيره عن ميمون بن مهران قال : خطب معاوية أم الدرداء فأبت أن تزوجه قالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المرأة لآخر أزواجها)) ، ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً . وإسناده صحيح والألباني رحمه الله تعالى أورده في سلسلته الصحيحة برقم (١٢٨١) .

قال رحمه الله تعالى: ((وروى البيهقي من حديث عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة -أي ابن اليمان رضي الله عنه - أنه قال لامرأته : " إن سرّك أن

تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا " فلذلك حُرِّمَ على أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهن أن ينكحن بعده ، لأنهن أزواجه في الجنة)) ؛ انتهى هنا استدلال ابن كثير رحمه الله تعالى لهذه المسألة وهي أنه يحُرِّم نكاح زوجاته اللاتي توفي عنهن إجماعاً ، وساق رحمه الله الدليل على ذلك ثم قال:

((واختلفوا فيمن طَلَّقها في حال حياته على ثلاثة أوجه ، ثالثها)) أي ثالث الأوجه التي ذكرها العلماء .

((أن من دخل بها تحرُّم على غيره ، ونصَّ الشافعي على التحريم مطلقاً ، ونصره ابن أبي هريرة - وهو من شيوخ الشافعية يقال له أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي القاضي ، توفي ٣٤٥ - لقوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦٠])) يعني أخذاً من عموم الآية .

قال: ((وعلى هذا ؛ ففي أمةٍ يفارقها بوفاةٍ أو غيره بعد الدخول وجهان ، وقيل لم يكن زوجاته حراماً على غيره إلا أن يموت عنهن ، والدليل على ذلك آية التخيير ، فإنه لو لم تُخَيَّر للغير لما كان في تخييره لمن فائدة)) ؛ وآية التخيير مرت معنا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٨] ، والمعنى : ولكنَّ أن ترتبطن بمن شئت من أزواج ويكون عنده اليسار وعنده النعمة وعنده الخير ، ﴿ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٩] ؛ فبدأ بعائشة رضي الله عنها وقالت: "أختار الله ورسوله والدار الآخرة" .

قال رحمه الله :

[مسألة : ومن قذف عائشة أم المؤمنين قتل إجماعاً ، حكاها السهيلي وغيره ، لنصِّ القرآن على براءتها . وفيمن عداها من الزوجات قولان] .

وأيضاً هذه مسألة من باب الخصائص أنّ ((من قذف عائشة أم المؤمنين قُتِلَ إجماعاً ،
 حكاة السهيلي وغيره ، لنص القرآن على براءتها)) ؛ أي من قذفها بما برأها الله ﷻ به في
 آيات تُتلى في القرآن في سورة النور قُتِلَ إجماعاً ، ونصَّ أهل العلم على أنه يكفّر لأنه معاند
 للقرآن ومكذّب لكلام الله ﷻ ، فالله ﷻ يبرأها وهذا المجرم الأثيم يقذفها بما برأها الله منه .

فنقل ابن كثير إجماع أهل العلم على أن من قذف عائشة رضي الله عنها قُتِلَ إجماعاً ، والله
 ﷻ لما ذكر تبرئة عائشة مما رماها الرامون والأفكون به قال في أثناء ذلك السياق : ﴿

يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] ، ولهذا استدل مالك وغيره
 من أهل العلم بهذه الآية ؛ فذكر ذلك شرطاً في إيمان العبد أن لا يعود أو لا يقع في هذا
 الذي برأ الله ﷻ أم المؤمنين منه في آيات تُتلى في كتابه ﷻ .

قال: ((وفيمن عداها من الزوجات - من زوجات النبي ﷺ - قولان)) ؛ والصحيح -
 كما نص على ذلك ابن كثير نفسه وغيره من أهل العلم - أن زوجات النبي ﷺ كلهن مثل
 عائشة ؛ فمن رمى إحدى زوجات النبي ﷺ بما برأ الله ﷻ عائشة منه فهو كرميها رضي الله
 عنها .

وفي سياق البراءة لعائشة رضي الله عنها في سورة النور قال الله ﷻ : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ
 وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [النور: ٢٦] ، فالنبي ﷺ خير
 الطيبين وزوجاته خير الطيبات بدلالة هذه الآية الكريمة ، فمن رمى إحدى زوجات النبي ﷺ
 فقد آذى النبي ﷺ بأذى هو من أعظم الأذى ، ولهذا لما كان يتكلمون في هذا قال النبي
 عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ يَعْذِرْنِي - أي من ينصفي - مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ
 بَيْتِي)) وهذا من أعظم الأذى وأشدّه في حق الرسول عليه الصلاة والسلام .

فالصحيح أن رمى أي زوجه من زوجات النبي ﷺ بهذا الأمر هو كرمي عائشة رضي الله
 عنها ؛ قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : " وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من
 سبّها بعد هذا ورمها بما رماها به بعد هذا الذي ذكره في هذه الآية فإنه كافر معاند للقرآن
 ، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان : وفي بقية أمهات المؤمنين قولان أصحهما أنهن كهي " أي
 كأم المؤمنين عائشة .

وكذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الصارم المسلول أن للعلماء قولان وأنَّ الصحيح أن زوجات النبي ﷺ شأنهن كشأن عائشة ؛ فمن رماهن أو واحدةً منهن بهذا الإفك فهو كرمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

قال رحمه الله :

[مسألة : وكذلك من سبه ﷺ قُتل - رجلاً كان أو امرأة - للأحاديث المتضافرة في ذلك التي يطول ذكرها ها هنا ، فمن ذلك حديث ابن عباس في الأعمى الذي قتل أم ولده لما وقعت في النبي ﷺ ، وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال " ألا اشهدوا أن دمها هدر " . وقال شعبة عن توبة عن أبي السوار عن أبي برزة : أن رجلاً سب أبا بكر ، فقلت : ألا ضربت عنقه ؟ فقال : ما كانت لأحد بعد النبي ﷺ . رواه النسائي والبيهقي . وروى ابن عدي من حديث يحيى بن إسماعيل الواسطي ، ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " لا يُقتل أحدكم بسب أحد إلا بسب النبي ﷺ " . وقد صنف في ذلك الشيخ الإمام أبو العباس بن تيمية كتابه الصارم المسلول على من سب الرسول ﷺ ، وهو من أحسن الكتب المؤلفة في ذلك . والله أعلم] .

ثم قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى وغفر له وأسكنه الجنة وجميع علماءنا : ((وكذلك من سبه ﷺ قُتل، رجلاً كان أو امرأة)) ؛ والأصل أن تنفيذ الأحكام ليس لأحد الناس ولا لأفرادهم وإنما هذا منوط بولي الأمر أو من يكمل إليه ولي الأمر ذلك ، وإلا تصبح أمور الناس فوضى ؛ فإذا حصل مثل ذلك يرفع لولي الأمر مثل ما صنع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتب « الصارم المسلول » أخذ يطالب بالأدلة والحجج والبراهين بقتل ذلك الرجل .

قال : ((للأحاديث المتضافرة في ذلك التي يطول ذكرها ها هنا)) ؛ فمن أراد بسط هذه المسألة والأدلة بوفاء لا مزيد عليه فعليه بكتاب شيخ الإسلام العظيم الحافل « الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ » ، وهو كتاب مطبوع أتى فيه رحمه الله بالعجب العجيب وأجاد وأفاد وأحسن فيه أيما إحسان ، ساق الأدلة سوقاً عجيباً ، وكل حديث يتكلم عنه بما يشفي ويكفي ، وهو كتاب عظيم في بابه ؛ فيه غيرة ابن تيمية رحمه الله المفعمة ، وديانته

المتينة ، ونصحه لدين الله ، ومحبه القوية لرسول الله ﷺ . وكان رحمه الله ألفه غيراً على رسول الله ﷺ لأنه ذكر أن نصرانياً في زمانه سب النبي عليه الصلاة والسلام فأخذ رحمه الله تعالى يطالب بقتله وإزهاق روحه لسبِّه لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه وكتب مجلداً كبيراً عظيماً نافعاً في بابه .

وأشار ابن كثير رحمه الله إلى بعض الأدلة قال : ((فمن ذلك : حديث ابن عباس في الأعمى الذي قتل أم ولده)) ؛ هذا الأعمى كانت عنده أم ولد له منها ولدان قال عنهما كما جاء في الحديث : " لي منها ابْنانِ مِثْلُ اللَّؤْلُؤَيْنِ ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً " ، أثنى على رفقتها به وهو رجل أعمى ، وله منها ولدان دُرتان يعني في الأدب والخلق واللطافة ؛ فكانت هذه المرأة التي عندها هذا الرجل الأعمى تسب النبي والعياذ بالله ، فكان ينهاها ويزجرها ويغضب عليها وتكرر منها ذلك ، وفي ليلة من الليالي حصل منها أن سبَّت النبي عليه الصلاة والسلام فغضب وتركها لما نامت وجاء بسيفٍ عنده ووضعهُ على بطنها واتكأ عليه إلى أن ماتت في مكانها ، وسكت عن الأمر ، فبلغ ذلك النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما كان الناس مجتمعين في المسجد قام عليه الصلاة والسلام وخطب الناس وذكر هذه الحادثة وقال : ((أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ)) ، فقام هذا الأعمى وكان في آخر الصفوف وجاء يمشي يتخطى إلى أن جاء النبي ﷺ وقال أنا صاحبها ، وقصتها أنها كانت تسب النبي ﷺ وزجرتها ونهرتها أكثر من مرة، فسمعت منها البارحة سباً فما احتملته فأخذت سيفاً كان عندي فوضعتهُ على بطنها فماتت ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدْرٌ)) ، والدم الهدر هو الذي لا دية فيه ولا ضمان ولا كفارة . والحديث رواه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه جماعة من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه الصارم المسلول .

قال : ((وقال شعبة عن توبة عن أبي السِّوَارِ عن أبي برزة : أن رجلاً سب أبا بكر ، فقلت : ألا ضربتَ عنقه؟ فقال : ما كانت لأحد بعد النبي ﷺ)) ؛ يعني النبي ﷺ من خصوصياته أنه إذا سبَّه رجل يضرب عنقه مباشرة ، ولهذا أورد في باب الخصوصيات . قال ((رواه النسائي والبيهقي)) ؛ وأيضاً رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

قال: ((وروى ابن عدي من حديث يحيى بن إسماعيل الواسطي ، قال حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : لا يقتل أحدٌ بسب أحدٍ إلا بسب النبي ﷺ)) ورواه من طريق ابن عدي البيهقي في السنن الكبرى وقال: " هذا الحديث يعرف بيحيى بن إسماعيل " أي الواسطي ، ويحيى بن إسماعيل قال فيه أبو حاتم : " أدركته ولم أكتب عنه " ، وسئل عنه في العلل فقال : " هذا الحديث باطل بهذا الإسناد " . لكن فيما سبق وفيما أيضاً ساقه وأطال في ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه الصارم المسلول من الأدلة ما يكفي .

قال: ((وقد صنف في ذلك الشيخ الإمام أبو العباس بن تيمية كتابه «الصارم المسلول على سب الرسول ﷺ» وهو من أحسن الكتب المؤلفة في ذلك . والله أعلم))
ومما ينبئ عليه في هذا المقام أن السب في بعض المناطق درج في السنة كثير من الناس أكثر من السلام والرحمة والدعاء بالخير، وقد جاء في الحديث أن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ)) ، لكن بلغ الحال في بعضهم والعياذ بالله أنه عند أدنى غضبٍ من شخص في بيعه وشراءه وفي تعامله رأساً يسب الدين ، أو يسب والعياذ بالله رب العالمين ، أو يسب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ وكل ذلك ردة عن الإسلام وكفرٌ بالله ﷻ ، ومن وقع في هذا السب فعمله باطل وطاعاته كلها فريضةٌ ونفلاً حابطة ولا تُقبل منه ، لو صلى الصلوات كلها في أوقاتها وصام شهر رمضان كاملاً وحج بيت الله الحرام وتصدق وقام بالطاعات كل هذا لا يقبله الله منه ولا ينتفع منها بشيء لأن سبه لله ردة عن الإسلام وكفرٌ ناقلاً من الملة . وهذا أمر غاية في الخطورة، ومع ذلك تجد في بعض المناطق أناس استهانوا بذلك أيما استهانة . وهذا إضافةً إلى أنه ردة وكفرٌ بالله هو من حماقة والسفه؛ إذا كان الإنسان ولا بد سيُسب فليسب من أغضبه مباشرة الذي هو أمامه ، أما دين الشخص والنبي والأمور الأخرى هذه كلها لا علاقة لها بهذا الذي أغضب الشخص ، لكن هذا سفه وحماقة ليس وراءها حماقة ولا سفه ، وأعظم من ذلك أن هذا كفرٌ وردة وانتقال من ملة الإسلام والعياذ بالله .

ولهذا إذا كان الإنسان مبتلى بوجود هذه الأشياء في بلده فيجب أن تتضافر الجهود على اقتلاع هذا السب القبيح واللعن المشين من ألسنة الناس ؛ بالتوعية ، والتعليم ، وبيان أن

هذا أمرٌ في غاية الخطورة وأنه كفر وردة وناقل من ملة الإسلام ومحبط للأعمال . نسأل الله
عَنْكَ السلامة والعافية ، وأن يصلح أحوال المسلمين .

قال رحمه الله :

[مسألة : وكان من خصائصه أنه إذا سب رجلاً ليس بذلك حقيقاً أن يُجعل سبُّ رسول
الله ﷺ كفارةً عنه، ودليله ما أخرجاه في الصحيحين " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : " اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفه ، إنما أنا بشر ، فأبي المؤمنين
آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم
القيامة " ولهذا لما ذكر مسلم في صحيحه في فضل معاوية أورد أولاً هذا الحديث ثم أتبعه
بحديث " لا أشبع الله بطنه.. " فيحصل منهما مزية لمعاوية رضي الله عنه . وهذا من جملة إمامة
مسلم رحمه الله تعالى] .

ثم عقد رحمه الله تعالى هذه المسألة وهي آخر المسائل المتعلقة بالنكاح ، ودكرها في النكاح
استطراداً ، لأنه لما ذكر سب أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أتبع ذلك بحكم سبه عليه
الصلاة والسلام ، ثم استطراداً ذكر هذه المسألة .

قال : ((وكان من خصائصه أنه إذا سب رجلاً ليس بذلك حقيقاً - أي ليس لهذا السب
أهلاً - أن يُجعل سب رسول الله ﷺ كفارةً عنه)) .

قال : ((ودليله ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "
اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفه ، إنما أنا بشر ، فأبي المؤمنين آذيته أو شتمته أو
جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة ")) ؛ فسأل صلوات
الله وسلامه عليه ربه جل وعلا أن يكون إن كان وقع شيء من ذلك ، إن أذى أو شتم
أحداً أو جلده أو لعنه وهو ليس أهلاً لذلك أن يجعلها الله ﷻ له صلاةً وزكاةً .

قوله ((إنما أنا بشر)) هذا من جملة أدلة كثيرة متضاربة تفيد المسلم في باب التوحيد وأن النبي
عليه الصلاة والسلام وغيره من المقربين عند الله ليس لهم حق في خصائص الرب ﷻ ؛ من

الدعاء والالتجاء والاستغاثة وغير ذلك من حقوق الله ، فهو عليه الصلاة والسلام بشر وعبدٌ لا يُعبد، بل رسول يطاع ويُتَّبَع .

قال: ((ولهذا لما ذكر مسلم في صحيحه في فضل معاوية أورد أولاً هذا الحديث - حديث أبي هريرة - ثم أتبعه بحديث " لا أشبع الله بطنه ")) ؛ لأنه مرةً أرسل النبي ﷺ إليه ابن عباس رضي الله عنهما يدعوه، وكان معاوية منذ أسلم كاتب الوحي ، وكثيراً ما يرسل إليه النبي عليه الصلاة والسلام ليكتب الوحي، وهذه فضيلة عظيمة لمعاوية ، وبهذا يلقب في ترجمته يقال « كاتب الوحي » ، ويلقب أيضاً بـ«خال المؤمنين» ، ويلقب أيضاً بـ«أول ملوك المسلمين» . فالنبي ﷺ أرسل ابن عباس يناديه فقيل إنه يأكل ، فجاء ابن عباس إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: إنه يأكل ، فقال: اذهب وادعه، فذهب يدعوه وجاء وقال: إنه يأكل ، ففي المرة الثالثة قال: عليه الصلاة والسلام " لا أشبع الله بطنه " .

إذا قرنت الحديثين فإن قول النبي ﷺ لمعاوية " لا أشبع الله بطنه " داخل في مناقب وفضائل معاوية ، لأن هذه تعتبر دعوة لمعاوية وليست دعوة عليه ، ولهذا يقول ابن كثير رحمة الله عليه في البداية والنهاية : " وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه ؛ أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميراً كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم ، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول والله ما أشبع وإنما أعيأ ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك . وأما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم إنما أنا بشر فأبشروني بما سببت أو جللته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بما عندك يوم القيامة " .

فهذه منقبة من مناقب معاوية ﷺ ، ومناقبه ومآثره رحمه الله ومكانته عند المؤمنين معروفة مشهورة . ولا يغتر الإنسان بأهل الأهواء ممن ليس عندهم بصيرة بفضل الصحابة ومكانة الصحابة ومنزلة الصحابة ممن يتجرؤون على هذا الصحابي ، قد جاء عن بعض السلف رحمه الله تعالى أنه قال: " إن معاوية ستر ، فمن هتكه هتك ما وراءه " ؛ يعني من تجرأ على معاوية بلمزٍ أو سبٍ أو طعنٍ أو وقيةٍ مما يوجد عند أهل البدع والأهواء فسيتجرأ أيضاً على غير معاوية ﷺ من أصحاب النبي ﷺ ، والله ﷻ لما ذكر الصحابة عموماً المهاجرين منهم

والأنصار في سورة الحشر وذكر فضل كلِّ اتبع ذلك بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠) ، وهذه الآية تفيد أن من جاء بعد الصحابة من المؤمنين شأنه مع الصحابة أمران :

أحدهما يتعلق بالقلب ؛ وهو سلامة القلب ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .
والأمر الثاني يتعلق باللسان ؛ وهو سلامة اللسان ﴿ اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ .

أما والعياذ بالله الشخص الذي يطعن في معاوية أو يطعن في غيره من الصحابة أين حظه من هذه الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ !! .